



**في المقاربة الأنساقية:
في تصويغ المقاربة نقديا**

بن تومي اليامين بن لحسن
جامعة سطيف - الجزائر
lyamine2050@yahoo.com

*Received: 7 Feb. 2014,
Revised: 15 Mar. 2014, Accepted: 23 May 2014
Published online: 1 Sept. 2014*



في المقاربة الأنساقية: في تصويغ المقاربة نقدياً

بن تومي اليامين بن لحسن
جامعة سطيف. الجزائر

الملخص

تحاول هذه الدراسة أن تفهم ما معنى الدراسة عن طريق الأنساق، ذلك أن هناك فرقا جوهريا بين المقاربة النسقية التي تنظر للنص باعتباره بنية مغلقة وتسلب إجراءاتها على النص في ذاته، والمقاربة عن طريق الأنساق التي صححت هذا المسار بإعادة الاعتبار للواجهة الخلفية الموجهة للنظرية النقدية من خلال رؤية منظورية شاملة. وبالتالي تكون قد استوعبت صرامة النسقية، وفتحت النص على أنساقه المضمر. وهنا فقط نقع على فهم طبيعة البنى المضمر التي حالت دون قيام نظرية نقدية عربية. وهنا تحمل هذه الورقة أساسيات المقاربة الأنساقية وعناصرها الجوهرية.

الكلمات المفتاحية: الأنساق، النقد، المقاربة، النسقية، النص، بنية.



On the Systematic Approach: Critically Formulating the Approach

Ben Toumi Lyamine

University of Setif 2 – Algeria

Abstract

This paper attempts to understand the meaning of the study by the systems, yet there is a fundamental difference between the systemic approach, which considers the text as a closed structure and shed its procedures to the text in itself, while the approach through systems corrects this way by reconsidering the background orienting the critical theory through a global theoretical vision. Therefore, it assimilates the systemic stringency and opens the text on its implied systems. Only by this, we can understand the nature of the implied structures that prevented the appearance of an Arabic theory. This paper carries the basics of the systemic approach and its core elements.

Keywords: Systems, criticism, approach, systematization text, structure.

في المقاربة الأنساقية: في تصويغ المقاربة نقدياً

بن تومي اليامين بن لحسن

جامعة سطيف. الجزائر

بالمثلي أو المفكر فيه أو الشعور، فليس هو النقيض وإنما المتضايغ مثل سطح الورقة وظهرها أو قفا القطعة النقدية «ما تحت الأرض» هو صفائح لا تنفك عن التحول والتداخل والاحتكاك، فتعبر الصفائح النقدية عن هذه التشكلات التكتونية التي تحركها زلازل خطابية تاريخية/الحدث الخطابي، وذلك لتحليل دقيق لنظام الممارسات: «باعتبار أن الممارسات هو موطن ائتلاف القول والفعل، والقواعد الإلزامية، والأسباب الواعية، والمشاريع والبدهييات»^١ ولذا فإن المقولة الأساسية في المنهجية ليست مقولة الانفصالية Discontinuité وإنما الحديثة Evenementualité أي ضبط الحديثة في قدره وتميزه أو العمل في نمط ما في الحديثة، إن ما يهمه هو ضبط بعض الفرديات التي تضع عادة في البدهييات والكليات التي يقدمها الخطاب التاريخي^٢.

إن البحث الذي نقوم به يتوزعه جهد في جهتين:
* النظر في الأصول التاريخية، من كون الأنساق الثقافية الراهنة هي بالأساس أنساق تاريخية أزلية كائنات زمنية لها الغلبة دائماً.

* والنظر ثانياً: في الممارسات/الأفعال الاجتماعية الراهنة التي تدلل على حاكمية الأنساق في اللاوعي الجمعي، وحضورها للحظوي

يهدف البحث إلى الحفر في المرجعيات الماقبلية لتكون النظرية النقدية، من خلال القيام على إشكاليات النقد العربي المعاصر/الراهنى ذلك أن الراهن لا يعني فقط الحدود الزمنية الضيقة، وإنما الراهن هو الماضي بمرجعياته، فالبحث الحفري لا تاريخي يقوم أساساً على اكتشاف: "الأنساق الأساسية في ثقافة ما" ولكن المنطلق يتأتى أساساً في فهم الحاضر أي سؤال الراهن وذلك السؤال الإشكالي:

ما وضع النقد العربي اليوم؟

وعليه، فالتقريش ينطلق من طبقة الراهن، أو من صفيحة الآني الذي يستدعي ما تحته، ما تحت الأرض ما تحت القشرة من خلال أن: ما تحت الأرض هو غور البدايات، أو عتمة الدلالات يتخذ شكل الصفيحة أو شكل الطيبة (Pli) (...) ما تحت الأرض يحمل الطيات، أي الأشكال الغربية والعجيبة من المخلوقات والمنحوتات، والمنحوتات الجيولوجية هي صنائع بدون ذات متعالية أو فنون بدون قصدية^٣

وهذا لا يعني أن ما تحت الأرض هو شكل واحد، أو طبقة وحيدة بحكم ما تحت يحيل إلى ما تحته، فهو نشاط دؤوب، ومقاوم لأشكال السكون والثبات لأن: "ما تحت الأرض هو المتواري أو اللامفكر فيه، أو اللاشعور، أو ممتنع التفكير والذي يلتحم

٢- السيد ولد أباه، التاريخ والحقيقة لدى ميشال فوكو، الدار العربية للعلوم، مكتبة مدبولي، منشورات الاختلاف، الجزائر/ القاهرة/ لبنان، ط١ ١٩٩٤ ص ١٠٥.

٣- المرجع نفسه، ص: ١٠٥.

١- محمد شوقي الدين، الإزاحة والاحتمال(صفائح نقدية في الفلسفة الغربية)، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، بيروت/الجزائر، ط١ ٢٠٠٨، ص ٩.

وتجدر الإشارة أن دي سوسير استخدم مفهوم النسق وليس البنية، وهل المقصود منهما هنا دلالة واحدة، يُرجع أحمد يوسف أن دلالة المصطلحين حصل فيها نوع من المقاربة المضغوطة نتيجة: "الاختلاف الحاصل حول تدوين تلك المحاضرات التي جمعها ستة من طلبة دو سوسير"^٧. و لكن مفاد الأمر أن اللغة ينظر إليها على أنها نسق؛ فقد يكون: "النسق مغلقا كما طرحه البنيوية الصورية، وقد يكون مفتوحا كما هو الشأن بالنسبة للمناهج النقدية الأخرى مثل السيميائية والتأويلية المعاصرة"^٨. وعليه فتحديد النسق يختلف باختلاف المرجعية التي ينطلق منها، وهذا في التصور للبحث ليس موضوع اهتمام، ذلك أنني لأتحدث عن الأنساق باعتباره مقاربة تحليلية للخطاب النقدي الدائر في مجال المقاربة الأنساقية، أي ما يقف خلف وضعيتنا العربية الراهنة؟ ما هي البنى المضمرة أو ما هي الأنساق الكلية والفرعية التي تشكل نقدنا العربي عموما والنقد العربي المعاصر خصوصا؟ وما يعنينا هنا؛ هو تلك الإحالة لدلالة النسق التي تسجم مع مصطلح النظرية.

جاء في القاموس أن مصطلح النسق يحمل دلالات متعددة، لكن الموقف على معناه قد يحيل إلى سياقين: فقد نعني به النظرية Théorie، وقد يقصد به إطارا أكثر عمومية، في إطار ما يعرف بنظرية الأنساق^٩ أو النسق منظورا إليه على أنه مجموعة خطابات Le système comme forme de discours، ولعل النسق باعتباره خطابا يحيلنا على شبكة معقدة داخل اللغة، يحيلنا على النظام الذي يشترط توارد اللغة ضمن علاقات منسجمة ومتسقة، لأن التواصل: «بين الكائنات البشرية يتم عبر أنساق مختلفة، وأن هذه الأنساق إما بسيطة (تتوسل قناة واحدة) أو مركبة تتضافر فيها قنوات مختلفة لغوية وغير لغوية"^{١٠}، حتى يحصل

الذي هيمن في سماء الممارسة الخطابية ما هو إلا تنفيس عن ذلك المكبوت، لأن التاريخ من منظور علم النفس الجمعي يحمل دائما أنماطه في شكل علامات تحيل عليه.

وعليه؛ فالبحث يمتد من الحضر في النصوص إلى نصنصة التجارب/الأفعال/الأحداث، لكونهم ممثلون عن هذه النصوص، أو لأن النقد العربي لا يمكن فهمه إلا من خلال جزئيتين.

- النصوص النقدية التي تشكلت طبقات في التراث النقدي.

- النقد اللذين أصبحوا ممثلين للخطاب النقدي راهانا وقديما.

مع أن هيدجر لا يعير أهمية للنسق للاعتبار الفلسفي، الذي جعل هيدجر ينسف مقولة الأصل، لصالح الهُجْنة داخل اللغة، لأنه انصرف إلى اعتبار الوجود ممثلا لنفسه، بل اعتبره غير موجود إلا في اللغة فهي بيت الكينونة الوحيد/الذرايين. لذلك لم يعد النسق مهما له اليوم^{١١} «aujourd'hui le système n'est plus pour nous une Nécessité

*لكن قبل ذلك ماذا يعني النسق؟

من خلال الدرس البنيوي يفهم أن النسق هو: "نظام ينطوي على استقلال ذاتي، يشكل كلا موحدا، وتقترب كليته بأنية علاقاته التي لا قيمة للأجزاء خارجها"^{١٢} و لعل دي سوسير قاربه بمفهوم البنية التي تركز على موجهاات ضرورية هي:

١- الكلية .

٢- التحولات .

٣- التنظيم الذاتي"^{١٣}.

4- Philippe Gross. Questions de système (Etudes d'un les méthophysiques de la présence à soi, édition l'Age d'homme. Genève, 2007. p11

٥- إديث كريزويل، عصر البنيوية، ترجمة: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط١، ١٩٩٣. ص ٤١٠.

٦- أحمد يوسف، القراءة النسقية ومقولاتها النقدية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط١، ٢٠٠٢. ص ٢٤.

٧- المرجع نفسه . ص ٢٢، ٢٣.

٨- المرجع نفسه . ص ٢٧.

9- Dictionnaire encyclopédie, Editions Quillet. Paris 1977, p 585.

١٠- أحمد المتوكل، الوظيفة بين الكلمة والنمطية، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠٠٠، ص ٧٢.

فهذه النظرية لها ميزة أنها تجمع الأنساق النظرية الراهنة والفاعلين فيها. إذا هي تجميع للنظر بالعمل أو إيراد للنص والفاعل ضمن فضاء الممكن الثقافي^{١٤}* ذلك: «أنه فضاء مبني Construct على شكل نموذج نظري يمثل كونا نهائيًا من الممكنات الثقافية/إشكاليات كبرى، مرجعيات ثقافية، وخطابات وأطروحات ومذاهب، ومناهج أعلام، تم الاعتراف بهم كمنارات للفكر والعلم والفن والثقافة، كونه يوجه بحوث الفاعلين المنخرطين فيه: باحثين، مفكرين، فلاسفة، فنانيين (...). ولذلك يمكننا أن نقول مع بورديو إن فضاء الممكنات الثقافية، قبل التاريخي عن الفاعلين فيه، والمتعالي عليهم، والموجه لبحوثهم، وتفكيرهم وإنتاجهم، يشتغل بوصفه نسقا من الروابط (...)^{١٥} هنا ندرك أن طبيعة النسق دينامية وحيوية، تأخذ مسارها في ترايبط مجموعة من الموجهات الأساسية والفطرية، والفاعلين الأساسيين في تركيب محدد بناء على وجهة النظر التي ترسم مسار الخطاب حيث لا يمكن أن ينطلق التواصل من الفراغ.

فلا بد من توافر إشكالية تكون المنطلق، حيث إن الفاعل بنية مهمة ومشروطة في انتشار هذا النسق فهو متأثر به ومدافع أو معارض له، ولذلك تكون جملة الأنساق الفرعية: وهي الأنساق المتحولة نتيجة التحول الأيديولوجي السائد في المجتمع، حيث النسق بنية احتمالية متفاعلة بين المتخاطبين ذلك: "أن موضوع التفكير دائما طبيعة بشرية، بمعناه أن التفكير ذاته يأتي من الواقع البشري دائما ليمتظهر زمنيا في شكل خطابات...^{١٦} ليس بالضرورة أن تكون متجانسة.

ويعتبر «تا لكوت بارسونز» واحدا من كبار الاجتماعيين الذين نظروا في النسق واعتبروه

البلاغ الذي تتم به المفاهمة بين المتخاطبين، لذلك فأنساق التواصل، أي تواصل يقوم كما يقول أحمد المتوكل على أربعة أركان أساسية:

أ- انتقاء النمط التواصلي وإطاره العام (المركز الإشاري، الأسلوب...).

ب- وتحديد القصد التداولي (أخبار، سؤال، وعد، وعيد، أمر...).

ج- وانتقاء الفحوى الدلالي، تحريره والذي يلاءم القصد.

د- وصياغة القصد والفحوى في بنية صورية مناسبة^{١٧}

ولعل الموضوع الذي نحن بصدده يقف في أس التواصل، بين النص باعتباره بنية خطافية، محمولة ضمن شبكة العلاقات التفاعلية مع القارئ/الناقد، حيث لا يمكن فصل النص عن نسقه الاجتماعي، المولد للقيم الزمانية والمكانية حيث أن «النسق الجزئي» جزء لا ينفصل عن الأنساق الكلية، وهي ما أطلق عليه تالكوت بارسونز ونيكلاس لومان Talcot Persons, Nikolas luman بالنظرية العامة للأنساق^{١٨}* حيث يمكن قراءة هذه الأطروحة على الشكل التالي:

"الأطروحة رقم ١: ترى أن الأنساق الاجتماعية تنشأ عن التوصلات، وتتكون بشكل خاص من التوصلات، وتعيد إنتاج نفسها وتحافظ عليها من تلقاء نفسها على أساس التوصلات.

الأطروحة رقم ٢: تقول إن التواصل هو انتقاء ثلاثة أوجه: الرسالة والمعلومة والفهم.

الأطروحة رقم ٣: تنتج عن الأطروحتين رقم ١ و٢، فالأفراد/الفاعلون والموضوعات لا يشكلون جزءا من التواصل، إلا من الأنساق الاجتماعية، ولكنهم ينتقلون إلى وسط الأنساق الاجتماعية، أي يتمون بذلك إلى التواصل^{١٩}

١٤ * مصطلح بلور، فوكو.

١٥ - عبد السلام حيمر، في سوسيولوجيا الخطاب (من سوسيولوجيا التمثلات إلى سوسيولوجيا الفعل. الشركة العربية للأبحاث والنشر بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص ٣٦١-٣٦٢.

16-Philippe Nemo, L'homme structural. Editions crasset et fasquelle, Paris, 1975, p 47.

١١- المرجع نفسه، ص ٥٢.

١٢ * مصطلح بلور فوكو.

١٣- أحمد بوحسن، نظرية الأدب (الأدب، القراءة-الفهم. التأويل) دار الأمان، الرباط، ط٢، ٢٠٠٤، ص ١٢٩.

*النسق / النظرية:

ومفهوم «النسق» عند «تالكوت بارسونز» يحيلنا إلى مفهوم النظرية ذلك أنهما مفهومان متداخلان، ففي السياق نجد كلمة «نسق» système تقترب أكثر وترادف لفظة نظرية «théorie» أو أن النسق كشكل من أشكال الخطاب النظري le système comme forme de discours ولهذا: «ليس من الممكن إعطاء تعريفات جامعة ومحددة للفظتي نسق ونظرية لأن هاتين اللفظتين استعملتا في كميات مفاهيمية معانيمية مختلفة، ولكن في العام الأغلب يحددان ضمن الاستعمال المنوط بهما»^{٢١}

فالنظرية متعلقة بالنظر بمعنى التفكير، وتمضي النظرية عند بارسونز فيما يقول روشر: «تشبه الصناديق الصينية حينما تفتح صندوقاً منها تجد أنه يحوي صندوقاً آخر بداخله، وهذا الصندوق بداخله صندوق أصغر وهكذا»^{٢٢}.

وعليه فنحن مطالبون بالبحث داخل هذه العلب عن الأنساق الحادثة لشروط الحيوية والحراك التاريخي لها. فهي جملة العناصر المكونة للبناء الذي هو في طور الاكتمال، لذلك يتناسب مصطلح نظرية مع تنظير un théorème وهي تعني: «اقتراح منطقي الذي يتبعه اقتراح آخر»^{٢٣} ووردت كلمة نظرية فيما يقول محمد الدغمومي بسياقات متفاوتة.

أ- دلالة عامة يكون فيها مدلول «النظرية» مرادفاً لكلمة أخرى مثل معرفة، أفكار أو حصيلة من التصورات بغض النظر عن وجود نسق أو نظام لها.

ب- دلالة نسقية نسبية تعني مادة فكرية، تنتسب إلى ناقد بعينه أي ما يمكن أن يعتبر وحدة ينتجها شخص فرد أو مجموعة أفراد ينتمون

الإطار النظري العام أو ما أسماه «بالنظرية الطوعية للفعل»^{١٧} باعتبار الفعل مهم في تمثيل الخطاب، وقد أشار فوكو إلى ما أسماه la théorie du verbe: "ويعرّف الفعل بأنه الشرط الضروري لكل خطاب، وحيث لا يوجد فإننا لا نستطيع القول، وبأي حال من الأحوال أن هناك لغة"^{١٨}. والفعل يستلزم متضمناً داخله: الفاعل باعتباره حاملاً للخطاب.

وهنا لتشييد النسق/ النظرية يشترط «شميدت» شروطاً ثلاثة هي:

١- يجب أن يعبر عن البنية الداخلية.

٢- يجب أن يكون له حدود قارة معترف بها من طرف الفاعلين.

٣- يجب أن يكون مقبولاً من طرف المجتمع ويؤدي خدمة للمجتمع لا يؤديها نسق آخر^{١٩}

ويعتبر كلا من «نيكولاس لومان» و«شميدت» و«تالكوت بارسونز» أن النسق الاجتماعي هو المهيمن على كل الأنساق، ذلك أن الأنساق تتواصل فيما بينها، غير أن النسق الاجتماعي: «يستلزم في تصور بارسونز ثلاثة أنساق أخرى، يستلزم فاعلاً يرمي إلى الحصول على الحد الأقصى من الإشباع (نسق الشخصية) وتستلزم بقدر ما يتعلق الأمر بالمجتمع نسقاً من القيم له انتشار واسع، بحيث إن هذه القيم تمنح التماسك للمعايير المختلفة المرتبطة بمختلف أدوار المكانة (النسق الثقافي) أخيراً، تستلزم وجود بيئة على المجتمع أن يتكيف معها (النسق العضوي)^{٢٠}.

١٧- إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد حسين غلوم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت مجلة عالم المعرفة، العدد ٢٤٤، ص ٦٩.

١٨- عمر مهيب، البنية في الفكر الفلسفي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط.د.ت، ص ٦٦.

١٩- أحمد بوحسن، مفهوم النسق، كتاب جماعي/ المفاهيم تكونها وسيرونها، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط ١، ٢٠٠٠، ص ٨٢.

٢٠- إيان كريب، النظرية الاجتماعية (من بارسونز إلى هابرماس)، ص ٧٢.

21-Anatol Rapoport, La Théorie moderns des systèmes, Un guide pour faire face aux changementS, Edition,.l.n.r.s. paris 1970.p 23.

٢٢- إيان كريب، المرجع السابق، ص: ٧٢.

23- Ibid, page 23.

ب- علاقة أو علاقات العناصر الفرعية فيما بينهما (أطراف/أطراف).

ج- علاقة أو علاقات النسق في جملته ما هو خارج عنه وعادة البيئة أو الأنساق الأخرى (نسق/أنساق أخرى)^{٢٦}

إن المنظوماتية تحيلنا إلى النظام *ordre* والنظام أخص من النسق، فهذا الأخير يحمل طابعا كليانيا، والنظام يشمل العلاقة الرابطة المتممة للوصل بين العناصر المتألفة، وغالبا ما يكون النظام على المستوى الإجرائي إوالي ذو طبيعة آلية ميكانيكية فهو حامل لمتضمن سلطوي بينما النسق أليق بالطابع التنظيري العام فهو بهذا يعني: «طريقة تفكير في الأنساق ومكوناتها»^{٢٧} وعليه فالنسق يستوعب النظام، والأنساق إما أن تكون مفتوحة *ouvert Systeme* أو مغلقة *fermée Systeme* وتكون الأنساق المفتوحة: هي تلك التي تفتح على ما هو خارج ومحيط بها فتتخطى معه في عدد من التفاعلات والتبادلات. أما الأنساق المغلقة: فتبقى بعيدة عن مثل هذا الانفتاح فهي لا تتقوم إلا بالاعتماد الكلي على نفسها»^{٢٨}. وعليه فالنسق بهذا المعنى يفتح على البيئة الأصلية، أو قد يتأقلم أو يتمحيط ضمن بيانات أخرى، فينشأ التفاعل البيئي للأنساق بين المركز والأطراف. وهذا ما يسمى عادة بالتثاقف.

هذا الإطار الذي يحقق فاعلية النسق في المجتمع وخارجه، وهذا ما يطلق عليه «شميدت» بالتفاعل التواصلي، شرط أن يترسخ النسق اجتماعيا. ذلك أن النسق الاجتماعي، حامل لقيم اجتماعية/بيئية ومن ثمة تتفرع الأنساق الجزئية لتكون المعيار النسقي العاضد للحمة التكامل النسبي.

٢٦- محمد قاري، سيمائية المعرفة المنطقية (المنهج وتطبيقه) مركز الكتاب للنشر، ط١، ٢٠٠٢، القاهرة، ص ١٠٦.

27- C. West Churchman. Qu'est ce que l'analyse pour les systèmes?. Traduit de l'américain par b. Et A. beblane. Page 17.

٢٨- محمد القاري، المرجع السابق، ص ١٠٧.

إلى مدرسة أدبية، فالنسقية هنا موجودة نسبيا بوجود علاقات بين عناصر تلك المادة الفكرية.

ج- دلالة نسقية تعني وجود افكار لها خصوصية ومرجعية، سواء وصلت درجة النظرية بمعناها الدقيق أو يقين فقط تسمية لمشروع نقدي قائم الذات يمتلك تميزه عن غيره، ويتم من خلالها الإحالة إلى مناهج نقدية معروفة أو إلى اجتهادات مفكرين ونقاد تركوا مشروعا نقديا له أتباع ويتراوح»^{٢٩}

وعليه؛ فالنظرية بهذا التوضيح تحيلنا على حالة البناء، والبناء مجموعة نظم مجتمعة لا تحقق الاكتمال بقدر ما تهدف إليه، لأنها العناصر المعضودة فيما بينها قد تحقق الانسجام الجمالي وقد تتطلب التعديل.

ذاك أن كل بناء/نظر معرّف يعطف باتجاه ما، يحتاج إلى ما يجعله بناء آخر نتيجة التحول، إنها نسبية: «ممكنة التسمية قابلة للتمييز ومنتجة لمعرفة لا تكرر معرفة سابقة»^{٣٠}.

• المقاربة الأنساقية:

أما النسق *Systeme* ونظرية الأنساق، التي ترجمها البعض بالمنظوماتية *la systémique* والنسق مجموعة العناصر المتألفة تحديدا مايلي:
١- وجود مجموعة عناصر.

٢- تتوزع العناصر في كليتها إلى:

أ- عنصر رمزي (نواة، قطب، بؤرة رئيسة).

ب- عناصر فرعية (أطراف، حواف، أجزاء ملحقه).

٣- وجود مجموعة علاقات.

٤- تتوزع العلاقات في كليتها إلى:

أ- علاقة أو علاقات العنصر المركزي مع أن طرف (مركز/أطراف).

٢٤- محمد الدغمومي، نقد وتنظير النقد العربي المعاصر، منشورات كلية الآداب، الرباط، ط١، ص ١٢١.

٢٥- المرجع نفسه، ص ١٢٢.

الحركة البحثية خارج الولايات المتحدة في السنوات ١٩٦٠-١٩٧٠ من خلال نشر دراستين مكنتنا من ضمان توسعة حقيقية من خلال تقرير أصدر عن حلقة روما ١٩٧٢ التي حملت عنوان: Halte a la croissance

٤- ميكيلوش McCulloch مختص في علم الأعصاب النفسي، أبحاثه في الرياضيات، له أبحاث مهمة في الذكاء الاصطناعي وعمق تخصصاً جديداً Bionique^{٢٠}.

وتقوم المقاربة الأنساقية على أربعة مفاهيم مركزية:

١. التفاعل L'interaction وهو مفهوم تأسيس وثيري، فالعلاقة هنا عكس العلم الكلاسيكي، حيث العلاقة لا تكون فقط بين قطبين أوب بل تتداخل العلاقة في علاقة مضاعفة بين أ نحو ب وب نحو أ.

٢. الكلية La Globalité النسق هو ما تكون من جملة عناصر، وهذا لا يعني أن تقول أن هناك عدداً معيناً من العناصر بل كما يتصور "فون بينتلنفي" هو أول من أبان أن النسق يعني الكل الذي لا يقبل القسمة إلى أجزاء.

٣. التنظيم L'organisation يمكن أن يكون مفهوماً مركزياً "النظامية" Systémique على العلاقة التي ترتبط العناصر ببعضها ببعض، والتنظيم هو العقل الناظم للطاقة، والمعلومة في التركيب العام.

٤. مركب La Complexité هناك فرق بين Complexité و Complication بين التركيب والتعقيد، هناك فرق جوهرية في طبيعة المفهوم وفي الوجه المنظور له، لذلك فالمركب في نسق ما يكون من خلال ثلاثة تخارجات سببية:

- من خلال تركيب النسقي ذاته، أو عدد من الأنساق، أو خصائص العناصر، وخاصة من

وتشييد الأنساق ينطلق تحديداً من:

- مفهوم النسق بإعادة تشييد معارفنا ومشاريعنا التواصلية لنقل: «بأن الهدف أساس لمصلحتنا ينتقل من الموضوعات إلى السيرورات، ومن الهوية إلى الاختلاف، ومن الحقيقة إلى المحتمل»^{٢٩}.

- مفهوم الملاحظ باعتباره؛ أنساقاً نسبية تعمل على بناء النموذج الافتراضي، وبالتالي يتجاوز بنا التفكير مع الملاحظ القيود التي يتعرض لها الخطاب الطبيعي (القيود البيولوجية، النفسية، الثقافية) لتحقيق السيورة التأويلية للمعرفة لتحقيق التواصل النفعي.

تطور المفهوم في ظل المعارف المختلفة للقرن العشرين، في علوم التقنية وفي أعمال الباحثين في التخصصات الدقيقة، وضمن العمليات العسكرية إبان الحرب العالمية، وفي مؤسسات التسيير الاقتصادي بل إن الجامعات الأمريكية الكبيرة قدمت لنا أسماء كبيرة كان لها الأثر في بروز هذا المفهوم:

١- فون بينتلنفي Von Bertalanffy هو من كان له الفضل في إخراج مفهوم نظرية الأنساق العامة وقد أولت في بعض الأحيان "النظرية العامة للأنساق" La théorie général des systèmes ١٩٥٠ من خلال دراسته "المجتمع من أجل دراسة للأنساق العامة".

٢- نوربرت وينر Norbert Wiener أستاذ مشهور عمل على تطوير كثير من البحوث ففي سنة ١٩٤٨ نشر كتابه المشهور "السبرنتيقا" cybernetics وفي العام نفسه كان له مع المهندس شانون Shanon كتابهما الأساسي "النظرية الرياضية للاتصال".

٣- ج.و. فورستر J.W.Forrester مهندس كهربائي نقل من بداية ١٩٦٠ المجال التطبيقي للنظرية الجديدة للأنساق في الدينامية الصناعية ثم جرب الدينامية العامة للأنساق. تطورت

30- Daniel Durand, La Systémique, Dépôt légal, 11 Edition, Paris 2010, pp 5, 6.

٢٩- أحمد بوحسن، نظرية الأدب (قراءة الفهم، التأويل)، ص ١٤٥.

خلال الروابط الموجودة بين الأنساق؛

- من خلال التداخل بين النسق والبيئة؛

- من خلال العلاقات المتباينة بين التحديد والعشوائية بين النظام والفوضى.^{٢١}

وهنا نجد أن مفهوم النسق يتحدد انطلاقاً من نقطتين أساسيتين: بنوية ووظيفية، وهي الاجتهادات التي قدمها تالكوت بارسنز، ضمن الأطروحة الوظيفية البنوية، وهي تلك العبارة الشهيرة «الفعل نسق»^{٢٢}. فلا يمكن للفعل اجتماعياً كان، أو أي فعل أن يصبح له معنى، أو أن يتحقق إلا كونه نسقاً فقط. مع أن أساس الفعل إنما يكون اجتماعياً لأنه المنشأ الذي ينبثق منه، لذلك يحتم علينا الأمر أن نفهم طبيعة المجتمع الأنساقية قبل تحليلها لنقوم على العناصر الأساسية المولدة له، وعلى الدينامية الأساسية له. لأن المجتمع هو المصدر الأساسي الذي تبتثق منه كل القيم بحسب دوركايم أي: "من خلال الفرضية القائلة بأن المجتمع هو وحدة أخلاقية أولاً أي ممكن فقط عندما يصبح تشكل إجماع أخلاقي كاف واردا"^{٢٣}. ويتصور بارسنز "أن هناك أربعة مكونات يجب أن تتفاعل مع بعضها كي يتولد الفعل"^{٢٤}. هناك:

- نسق منجز.

- نسق أداتي .

- نسق داخلي .

- نسق خارجي.

وتنشأ مجموعة من العلاقات المختلفة بين التقاطعات النسقية:

- التكيف Adaptation " يستخدم النسق، إن صح التعبير، العلاقات الخارجية في سعيه للوصول إلى حالة تكون مناسبة كوسيلة لإقامة علاقات

مرضية بين النسق والبيئة"^{٢٥}

- تحقيق الهدف: من خلال تحقيق القيمة المنجزة من خلال فهم دقيق للأنماط الكامنة في الفعل العام للثقافة من خلال البحث عن الموجهات الكلية لنسق ثقافة ما. فالثقافة تمثل داخل كل منظومة ما يسميه بارسونز بـ "نسق الائتمان"^{٢٦} وهناك تفاعل جوهري هرمي بين الأنساق حيث إن: "الثقافة توجه النسق سبيرنيطيقاً كما يقول بارسونز من حيث إنها باستخدام ضئيل للطاقة تؤثر على الأنساق الاجتماعية، وهذه بدورها على الأنساق الشخصية، وهذه بدورها تؤثر في كائناتها الحية، كل ذلك يتطلب استخداماً كبيراً للطاقة كلما هبطنا إلى الأسفل"^{٢٧}

وبحسب نيكولاس لومان بأن عجز الجهاز النظري لتالكوت بارسنز لم يستطع فهم الظاهرة الاجتماعية لغلبة النموذج النظري، وعليه فالنسق عند لومان هو: "علاقة بين البنية والضرورة وحدة تقودها نفسها في صيرورتها الخاصة أن هناك الوحدة، الحدود، الصيرورة البنوية، العنصر، العلاقة"^{٢٨} وينشأ النسق من التواصل لذلك يركز التواصل النسقي على العامل الحيوي الدينامي الذي ينشأ نتيجة التضايف الكلي بين الأنساق يقول لومان: "ينشأ النسق نتيجة تضايف عندما يتطور التواصل من التواصل، لا نحتاج لإيضاح مسألة التواصل الأول. لأن السؤال "ما كان التواصل الأول هو سؤال في نسق يتواصل يفكر النسق ببدايته من الوسط دائماً. يستطيع طرح السؤال كيف كانت البداية. عندما يكون قد وصل إلى درجة تعقيد كافية. عندئذ يمكن الوصول إلى إجابات مختلفة. لكنها لا تنغص استمرار التواصل. بل ربما تقوم بتثبيته لذلك وبحسب هابرماس علينا فهم المجتمع المعاصر: "كتزاوج لصيغتين من الإندماج الاجتماعي: النسق من جهة والعالم المعيش من

٢١- نيكولاس لومان. مدخل إلى نظرية الأنساق. ترجمة يوسف فهمي حجازي. منشورات الجمل ألمانيا/بغداد. ط١ ٢٠١٠. ص ٤٧.
٢٢- المرجع نفسه. ص: ٢٠.
٢٣- المرجع السابق. ص: ٢١.
٢٤- المرجع نفسه. ص: ٢١.
٢٥- المرجع السابق. ص: ٢٢.
٢٦- المرجع نفسه. ص: ٤٧.
٢٧- المرجع نفسه. ص: ٤٩.
٢٨- المرجع نفسه. ص: ٩٧.

السيد ولد أباه، التاريخ والحقيقة لدى ميشال فوكو،
الدار العربية للعلوم، مكتبة مدبولي، منشورات
الاختلاف، الجزائر/ القاهرة/ لبنان، ط1،
١٩٩٤.

مراجع مترجمة:

إديث كريزويل، عصر البنية، ترجمة: جابر
عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط،
١٩٩٢.

إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى
هابرماس، ترجمة محمد حسين غلوم، المجلس
الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت مجلة
عالم المعرفة، العدد ٢٤٤.

عبد السلام حيمر، في سوسيولوجيا الخطاب (من
سوسيولوجيا التمثلات إلى سوسيولوجيا الفعل.
الشركة العربية للأبحاث والنشر بيروت، ط1،
٢٠٠٨.

عمر مهيبيل، البنية في الفكر الفلسفي المعاصر،
ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1،
د.

محمد الدغمومي، نقد وتظهير النقد العربي
المعاصر، منشورات كلية الآداب، الرباط، ط1،.

محمد شوقي الدين، الإزاحة والاحتمال (صفائح
نقدية في الفلسفة الغربية)، الدار العربية
للعلوم، منشورات الاختلاف، بيروت/الجزائر،
ط1، ٢٠٠٨.

- محمد قاري، سيمائية المعرفة المنطقية (المنهج
وتطبيقه) مركز الكتاب للنشر، ط1، ٢٠٠٢،
القاهرة، ص1٠٦.

- نيكولاس لومان. مدخل إلى نظرية الأنساق.
ترجمة يوسف فهمي حجازي. منشورات الجمل
ألمانيا/بغداد. ط1 ٢٠١٠.

جهة اخرى^{٣٩}. أول الأنساق التي تمارس هيمنتها
على الحياة هي: السلطة التي تختزن فيما يرى
هابرماس نسقها المغلق يقول: "وأول الأنساق التي
تلعب دورا هاما في حياتنا المعاصرة السلطة التي
تعتبر مؤسسة نظام للدولة والنقود التي أسست
بدورها نظام السوق. يرى هابرماس بأن هذه
الأنساق تمتاز بديناميكية انغلاق على نفسها
لكل منها عالمها الخاص، فالسلطة تحدد شروط
ممارستها، والنقود تحدد قيمة العملة وكل نسق
له رموزه: "فالاقتصاد يتعامل بالعملة والنسق
السياسي بالقوة فالمنعنى لا يوجد قبل النسق و لا
يسبق مجال الفعل فهو ينشأ في الواقع عن طريق
ما يختاره له النسق من دلالة"^{٤٠}

قائمة المراجع:

أحمد المتوكل، الوظيفية بين الكلمة والنمطية، دار
الأمان، الرباط، ط1، ٢٠٠٠.

أحمد بوحسن، مفهوم النسق، كتاب جماعي/
المفاهيم تكونها وسيرورتها، منشورات كلية
الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، ٢٠٠٠.
أحمد بوحسن، نظرية الأدب (الأدب، القراءة-
الفهم. التأويل) دار الأمان، الرباط، ط1،
٢٠٠٤.

أحمد يوسف، القراءة النسقية ومقولاتها النقدية،
دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط1، ٢٠٠٢.

حسن مصدق. يورغن هابرماس ومدرسة
فرانكفورت، النظرية النقدية التواصلية، المركز
الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت. ط1.

٣٩- حسن مصدق. يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، النظرية
النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت.
ط1. ٢٠٠٥. ص: ١١٢.

٤٠- المرجع نفسه ص: ١١٥.



Philippe Gross. Questions de système
(Etudes d'un les méthaphysiques
de la présence à soi, édition l'Age
d'homme. Genève, 2007.

Philippe Nemo, L'homme structural.
Editions crasset et fasquelle, Paris,
1975.

المعاجم:

Dictionnaire encyclopédie, Editions
Quillet. Paris, 1977.

مراجع باللغة الفرنسية:

Anatol Rapoport, La Théorie moderns
des systèmes, Un guide pour faire
face aux changementS, Edition,
l.n.r.s. paris 1970.

C.West Churchman. Qu'est ce que
l'analyse pour les systèmes?. Traduit
de l'américain par b. Et A. beblane.

Daniel Durand, La Systémique, Dépôt
légal, 11 Edition, Paris, 2010.